الأهرام

المصدر: عكـــــاظ
التاريخ: ١٠ ذو القعـــدة ١٤٠٢هـ

□ المسلمون في الاتحاد السوفيتي

٥٠ مليون مسلم يعيشون في الاتحاد السوفيتي

● مقتطفات من مقال كتبه الشيخ ر . علي استاذ مساعد العلوم السياسية بجامعة نورث كارولينا المركزية نشر بمجلة Current History في ابريل ١٩٨٠ م ·

يشغل الاتحاد السوفيتي سدس سطح الكرة الارضية ، ويخترقه احد عشر من خطوط الطول الزمنية ، ولذلك نرى تلك الدولة تضم ١٠٠ جنس ودين مختلفين داخل حدودها · ومن بين كل خمسة من سكان الاتحاد السوفيتي يوجد مسلم واحد · وتصل جملة المسلمين في الاتحاد السوفيتي الى خمسين مليون فرد ، ولذلك يعتبرون جامع تكوين دولي ثاني اسلامي من حيث عدد السكان ·

وتوجد أربع رئاسات دينية تصرف أمور مسلمي الاتحاد السوفيتي ، كل منها حسب حدود سلطاتها الاقليمية كما يلي :

١ ـ الرئاسة الدينية للسنيين المسلمين في روسيا الاوروبية وسيبيريا ·
٢ ـ رئاسة السنيين المسلمين لآسيا الوسطى وكازاخستان ·
٣ ـ رئاسة السنيين المسلمين في شمال القوقاز وداغستان ·
٤ ـ رئاسة المسلمين السنيين والشيعة عبر القوقاز ·

والمجتمعات الاسلامية الاخرى في الاتحاد السوفيتي لا تجد لها اعترافا رسميا من جانب الحكومة السوفيتية ·

وعلى الرغم من وجود المسلمين في دولة علمانية شيوعية ، بقى الاسلام حيا في تلك البلاد ·

ولا يقتصر ذلك الاستمرار الاسلامي على الاتحاد السوفيتي ، فلقد بقى وازدهر الاسلام في البانيا وهي دولة شيوعية وان كان أغلب سكانها من المسلمين · وبقى الاسلام أيضا في بلغاريا وبولندا ويوغوسلافيا ·

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وهناك مجموعات صغيرة من المسلمين تعيش في تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية والمجر ورومانيا والنمسا « الأخيرة غير شيوعية » ·

لقد جاء الاسلام اذربيجان واسيا الوسطى في القرن الثاني الهجري ، وهي اجزاء الأن من الاتحاد السوفيتي يقطنها المسلمون الحاليون ، حيث ظل الاسلام مزدهرا بها الى ان استولى الشيوعيون على السلطة في روسيا عام ١٩١٧م ·

كان المسلمون في روسيا قبل الشيوعية يمرون بدرجات متفاوتة من التطور الاقتصادي والاجتماعي بدءا من حالة العشيرة حتى اشكال الدولة الحديثة المعاصرة ·

وكانت اشكال الحضارة على الجانب الغربي من البلاد قد دفعت بتغييرات عميقة داخل هذه المجتمعات الاسلامية في الجانب الشرقي من البلاد ·

ولقد حاولت الطبقات المثقفة الاسلامية آنذاك ان توحد المسلمين هناك تحت راية الاسلام السياسية لكن المحاولات لم توفق ·

وأتى استيلاء الشيوعيين على السلطة قبل أن يكتمل ذلك النضج الاسلامي · وعندئذ أخذ الشيوعيون يستدرون عطف المسلمين السوفييت ، وحتى عطف مسلمي العالم لتشجيع دولتهم الوليدة ·

دائرة الشئون الاسلامية :

وقد أخذ الوضع القانوني للمسلمين في ظل الدولة الجديدة يتضح اكثر فأكثر عندما صدر المرسوم الحكومي في ٢٣ يناير ١٩١٨ ميلادية ، الذي ينص على فصل الكنيسة عن الدولة ·

عندئذ أنشأت الحكومة دائرة مركزية سميت دائرة الشئون الاسلامية اندرجت تحت « الدائرة العامة للقوميات الوطنية » التي كانت تحت اشراف ستالين ·

وعلى العكس من السخط الذي أبدته الحكومة انذاك تجاه الكنيسة الارثوذكسية وسائر الجماعات الدينية ، لم تشجع القيادات الحكومية أي هجوم على الاسلام · بيد أن هذا لم يتضمن أي تغيير في الموقف الفكري الذي كانت تتبناه الحكومة من رفض الاسلام وسائر المعتقدات الدينية باعتباره « أشياء متخلفة ! » ·

وعقب انتهاء الحرب الأهلية في روسيا انذاك أعيد تنظيم « دائرة القوميات الوطنية » واختفت « دائرة الشئون الاسلامية » ·

الخشية من التوحد الاسلامي :

أثار خطر ابتعاث التوحد الاسلامي داخل الاتحاد السوفيتي مخاوف القادة الشيوعيين ، ولم يسمحوا ببقاء الجيش الاسلامي المكون من وحدات من المناطق الاسلامية مستقلا ، حيث كانت عدته ٥٠,٠٠٠ جندي في العام الثاني لقيام الحكم الشيوعي ، وأدمجوه في وحدات الجيش العام ···

وعلى الجانب الآخر كان المسلمون أنذاك يحسون فعلا بالسخط أو الشكوك تجاه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

مخططات النظام الجديد · كانوا يحسون ان النظام سوف يبطش في اقرب فرصة مواتية بشعائرهم الاسلامية وقوانينهم وأعرافهم · وكانت هذه المخاوف والشكوك

المسلمون فى روسيا

سواء من جانب الأمة ذاتها أو حتى من جانب افرادهم الذين تعاونوا مع النظام هي السبب في تأخر تطبيق النظام السوفيتي الجديد في المناطق الاسلامية من الاتحاد السوفيتي ·

النظام يسفر عن وجهه :

ومنذ اواخر عام ١٩١٨ الميلادي بدأ النظام يسفر عن وجهه · فكما أسلفنا الغيت « دائرة الشئون الاسلامية » · وتبددت آمال الحالمين بأن تنشأ دولة اسلامية وحكومة اسلامية داخل الاتحاد السوفيتي · ورويدا رويدا اخذ النظام السوفيتي يغلق أو يحطم الأوقاف الدينية ومدارس تحفيظ القرآن والمحاكم الشرعية ، وحولت المساجد الى مدارس ونوادي ودور للسينما ودور للقراءة بل وحتى تحولت الى فنادق وسجون ·

ولا تتوفر الأرقام الحقيقية التي تسجل مدى الخسارة التي لحقت بالاسلام على يدى النظام الشيوعي في ذلك الحين ·

ففي منطقة واحدة هي منطقة بشكيريا انحسر عدد رجال الدين من ٣٠٠٠ ليصير ٣٠٠ فقط ·

وشهدت المناطق الاخرى مثل ذلك الانحسار·

ووفقا لما يقوله احد البريطانيين الثقاة فقد أخضع مسلمو الاتحاد السوفيتي الى ضغط ذي ثلاث شعب تمثل الارهاب السياسي والاستغلال الاقتصادي والقهر الثقافي ·

وفيما بين عام ١٩٢٩ وعام ١٩٧٣ حكم ستالين بالاعدام جوعا على حوالي خمسى أمة الكازاخ المسلمة ·

ومع ذلك فقد استمر الاسلام يلعب دورا رئيسيا في الحياة الشخصية لكثير من المسلمين ·

ففي عام ١٩٣٠ جرى التقدير بأن ثلاثة ارباع المسلمين في بعض المناطق كانت مواظبة على أداء فروضها الدينية ·

لكن مع مقدم الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ كانت تلك السياسات الحكومية قد نالت من المسلمين ومع احتياج الحكومة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

لتأييد الشعوب السوفيتية المختلفة لها في الحرب بدأت انفراجة جديدة فتحت على أثرها المساجد من جديد · وتقدر المساجد عندما انتهت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ بـ ٣٠٠٠ مسجد في الاتحاد السوفيتي · وفي العام نفسه سمح لمجموعة من المسلمين بأداء فريضة الحج · ومنذ عام ١٩٥٣ يجري السماح لعدد قليل من المسلمين بأداء تلك الفريضة السنوية ·

ويؤم مسجد موسكو اعضاء السلك الدبلوماسي الاسلامي الموجودون بموسكو ·

ويكاد يتشابه مسجد موسكو مع المركز الاسلامي بمدينة واشنطن من حيث وظيفة كل منهما ·

سياسة الاستيعاب الفكري :

في المناطق التي تتواجد بها أغلبية من السوفييت الروس تجري سياسة التأثير والاستيعاب الفكري اللذين يستهدفان السكان المسلمين · وأكثر ما يشاهد ذلك التأثير في كازاخستان والقوقاز والفولجا الوسطى · أما في أوزبكستان وطاجيكستان حيث لا توجد سوى اقلية من السوفيت الروس فان التأثير الفكري الروسي نجده قليلا أومنعدما ·

وسياسة اللغة التي تتبعها السلطات السوفيتية تهدف الى اعلاء اللغة الروسية فوق اللغات القومية التي يتحدثها المسلمون السوفيت من أجل الوصول الى تذويب جميع القوميات ·

والمسلمون الذين يعيشون في المدن قد فقدوا استخدام لغتهم الأصلية وبدأوا يتكلمون الروسية · وهؤلاء هم المثقفون والعمال والعسكريون المسلمون الذين يقبلون دائما للعمل جنبا الى جنب مع الروسيين ·

وان كان تأثير الثقافة الروسية والاندماج القومي واضحا وسط صفوف المثقفين وسكان المدن ، الا أنه ضئيل في المناطق الريفية للمسلمين ·

والمسلم المثقف وان بدا في المظهر انه اندمج في الثقافة الروسية ، الا أنه يظل في أعماقه دائما طوع تربيته وتقاليده الاسلامية ·

ان الموقف السوفيتي تجاه الوعي القومي الاسلامي داخل الاتحاد السوفيتي يكون تارة متسامحا اذا كان ذلك التسامح

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يبعد المسلمين السوفيت عن وحدة الاسلام العالمية ، ويكون تارة اخرى كابتا اذا تبين ان الوعي الاسلامي القومي السوفيتي يهدد السياسات القومية السوفيتية العليا ٠

مخاوف السوفيت من يقظة الاسلام :

ويخشى السوفيت الآن تسرب اليقظة الاسلامية عبر حدودهم الى مسلمي اقاليم آسيا الوسطى السوفيتية ٠

وعندما احس الاتحاد السوفيتي بالغليان الاسلامي في دولة مجاورة له هي افغانستان كان تصرفه سريعا ليضع حدا لذلك ٠ لقد تدخلت القوات السوفيتية لقمع الحركة الاسلامية داخل افغانستان والتي كانت موجهة ضد النظام الماركسي في هذه الدولة الاسلامية ٠

العالم الاسلامي الآن في حركة توثب وعلى الرغم من عدم وجود دليل على قيام حركة عصيان من جانب مسلمي الاتحاد السوفيتي ، كما أن قيام المسلمين خارج الاتحاد السوفيتي بشن حرب مقدسة ضده أمر غير وارد ، ومع ذلك يساور القادة السوفيت القلق بشأن احتمال قيام حركة بعث وتجريد اسلاميين في مقاطعات آسيا الوسطى ٠

وقد يؤدي هذا القلق الى جعل السوفييت يخففون من اضطهادهم للمسلمين داخل الاتحاد السوفيتي ٠ كما قد ينجم عنه أن تلجأ قوات الاحتلال السوفيتي في افغانستان الى اظهار الاحترام السطحي للعرف والشريعة الاسلاميين من اجل تهدئة الشعب الأفغاني وكسب ود الدول الاسلامية المحيطة بأفغانستان ٠

جملة ما يقال في موضوع الاسلام في الاتحاد السوفيتي بعد نيف وستين عاما من الحكم الشيوعي هناك ان السياسة السوفيتية قد اضعفت من الاسلام كنظام حياة للمؤمنين به، وان كان هؤلاء المؤمنون مازالوا محافظين على ايمانهم بالاسلام واقامتهم لشعائره ٠

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية